الوسائل التّعليميّة التّكنولوجية الحديثة ودورها في ترقية أداء معلّم اللّغة العربيّة الدّيداكتيكيّ

أ. د. كمال بن جعفر

- توطئة واستهلال:

إنّ العمليّة التّعليميّة ما هي في جوهرها إلاّ عبارة عن موقف إنسانيّ، تتفاعل فيه جميع الأقطاب والعناصر بصفة عامة والمعلّم والمتعلّم بصفة خاصة، كما أصبحت الحاجة ملّحة للمراجعة الشّاملة والدّقيقة لهذه الأقطاب وفق ما يتماشى والتّحديات التّربويّة التي يفرضها مجتمع تكنولوجيا المعلومات، لاسيما مضمون التّكوين الأكاديميّ والبيداغوجيّ والتّقنيّ الذي يُقدّم للمعلّمين، في عصر أصبح فيه المتعلّم يفقه كل ما أفرزته التّكنولوجيا من تقنيات وأجهزة رقميّة. فمتعلّم اليوم يختلف تماما عن متعلّم الأمس فهو يُبحر عبر شبكة الانترنيت دون حدود ودون قيود، ويتواصل باقتدار عبر مختلف مواقع التّواصل الاجتماعيّ من Twitter وFacebook و Messenger و... وهذا ما يفرض على المعلّم حقيبة تكنولوجيّة وعلميّة وتقنيّة إلى جانب حقيبته المعرفيّة ولغته السليمة، لاسيما وأنّ قطاع التّعليم يشهد العديد من التّطورات في طرائق التّدريس والوسائل التعليمية وأساليب التقييم والتقويم وحوسبة المناهج التعليمية والصفوف الافتراضية.... وعليه سنقف من خلال هذه المداخلة على سمات متعلم اليوم، والمسافات الرقمية التي قطعها مقارنة مع متعلم الأمس، وفي المقابل سنقف على الأدوار الجديدة والكفاءات اللازمة التي ينبغي أن يتسلح بها معلّم اليوم، لمواجهة هذا النوع الجديد من المتعلمين والتواصل والتفاعل معه باقتدار، وفي المقابل كيف ساهمت هذه الوسائل التعليمية التكنولوجية الحديثة في ترقية أدائه الديداكتيكي.

- بين متعلّم اليوم ومتعلّم الأمس.... مسافات رقميّة.

إنّ متعلّم اليوم ترعرع بين أحضان الرّقمنة والتّكنولوجيا، ويختلف عن متعلّم الأمس، فهو متعلّم مثقف معلوماتيا، يستطيع الوصول إلى المعلومات بفاعليّة وكفاءة، وتقويم المعلومات بأسلوب ناقد وباقتدار، وكذا استخدام المعلومات بشكل صحيح ومبدع. كما عزّزت المستحدثات التّكنولوجيّة تعليم المتعلّم الذّاتيّ، إذ صار يجتهد في البحث عن المعرفة والتّميّز في البحث أيضا، كما لعبت وسائل التعليم وتكنولوجياته دورا مهما في إدراك المتعلّم وتعلّمه بسهولة وبدرجة عالية، كلّما استخدم في تحصيله وسائل تعليميّة تجسّد الحياة الواقعيّة وخبراتها١. وفي هذا الصّدد جاء على لسان "باتريك منديلسون" مسؤول وحدة تكنولوجيات التّكوين في كلية علم النّفس والتّربيّة بجامعة جينيف: »الأطفال يولدون في ثقافة تحبُّ الضّغط على الزّر، واجب المدرسين فيها الانخراط في عالم تلاميذهم«٢ وأضاف: » إن ظلّت المدرسة تمنح تعليما لم يعد صالحا خارج أسوارها، فإنّها تخاطر بإقصاء نفسها، كيف تريدون عندئذ أن يثق بها التّلاميذ؟.«٣ ، فهاتان العبارتان تلخّصان ضرورة مواكبة المدرسة الحديثة بكل مكوّناتها وأقطابها الثّورة التّكنولوجيّة الرّاهنة، التي غيّرت العديد من الأوراق والظّروف، بل غيّرت حتى طريقة تفكير الإنسان وشخصيته واهتماماته، وفتحت له الفضاء على مصراعيه للإبداع والتّواصل والتّطور والمُضي قُدُما.

وعليه يمكننا القول: إنّه لابد من تدريب المتعلم على التعامل مع مصادر المعلومات المتعددة كالمراجع، ودوائر المعارف، وبنوك المعلومات العلمية والتكنولوجية التي أفرزتها الثورة العالمية والمعلوماتية، ومن أهم تأثيراتها على جمهور المتعلمين نذكر٤: «- تساعد على رفع دافعية المتعلم من خلال ما تقدمه من أنماط تعلم تفاعلية عبر الوسائل متعددة الوسائط.

- تساعد في تنمية التفكير الإيجابي لدى المتعلمين من خلال ما تقدمه من بدائل

للمعلومة التي يبحث عنها، ومن حيث الشكل التي يتم تقديمها فيه.

- تحقق للمتعلم استقلالية، حيث يشعر أنه يؤدي واجبات التعلم وفقا لميوله وقدراته الخاصة دون تقييده بمدة زمنية.
- توفر للمتعلمين فرصا أكبر في اكتساب مهارات التعلم الذاتي مما سيتيح له ديمومة التعلم والدافعية الذاتية.
- تحقق للمتعلم الدور الإيجابي من حيث أن المعلم لم يعد الملقن بل أصبح موجها ومرشدا ومنظما».

- الوسائل التّعليميّة التّكنولوجيّة الحديثة "ضبط المفهوم ومحطات تاريخيّة":

تعتبر الوسيلة التعليمية جزءًا هاما ضمن مكونات المنهاج التعليمي والعملية التعليمية ككل، ولقد تعدّدت التعاريف التي تضبط مفهومها وفيما يلي نذكر بعضًا منها:

«١-هي مجموعة أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم بهدف توضيح المعاني وشرح الأفكار في نفوس التلاميذ.

١- وسائط تربوية يستعان بها لإحداث عملية التعلم.

٢- كل ما يستعين به المعلم في تدريسه لجعل درسه أكثر إثارة وتشويقا لطلابه، ولجعل الخبرة التربوية التي يمر بها هؤلاء الطلاب خبرة حية وهادفة ومباشرة في نفس الوقت.

٣- الأدوات والمواد التعليمية، والطرق المختلفة التي يستخدمها المعلم بخبرة ومهارة في المواقف التعليمية لنقل محتوى تعليمي، أو الوصول إليه بحيث تنقل المتعلم (الطالب) من واقع الخبرة المجردة إلى واقع الخبرة المحسوسة، وتساعده على تعلم فعال بجهد أقل، وبوقت أقصر، وكلفة أرخص في جو مشوق ورغبة نحو تعلم أفضل»٥.

ولقد عُرّفت "الوسائل التعليمية الحديثة- Modern Teaching Aids" بأنها: »الوسائل الحسية أو الأدوات والمواد الحسية التي يستخدمها المدرس لمساعدة الطلاب على فهم ما يريد له أن يفهمه على تدريبهم وتنمية اتجاهاتهم، كما عُرّفت أنها كل شيء يحمل فكرة أو معنى أو رسالة ويستعين به المعلم لكي يوصل هذه الرسالة إلى غيره بجانب شرحه وأسلوبه ... كما أن هذه الوسائل هي مواد يمكن بواسطتها زيادة جودة التدريس وتزويد الطلاب بخبرات باقية الأثر، والوسائل التعليمية الحديثة إنما هي جزء من المنهاج باعتبارها تساعد في الحصول على خبرات منوعة لتحقيق غايات وأهداف المنهج وهي ليست بالمواد الثانوية أو الإضافية وإنما هي من الناحية العملية جزء متكامل مع ما يتضمنه المنهج المدرسي من مقررات دراسية، كالعلوم والرياضيات والمواد الاجتماعية واللغات وأوجه النشاط المتصلة بها وطرق وأساليب التدريس المختلفة في تدريسها«٦.

وكنتيجة لإقحام التكنولوجيا في حقل التربية والتعليم ظهر ما يعرف بـ: » علم تكنولوجيا التعليم-Instructional Technology « و»علم تكنولوجيا التربية- Educational Technology« وبدخول هذين المصطلحين تم تجاوز مفهوم الوسائل التعليمية في التعليم وأصبح التركيز على منظومة العملية التعليمية ككل منذ بدايتها وفي جميع مكوناتها ومحطاتها بدءا من الأهداف التربوية ووصولا للتقويم مع الاستفادة الكبيرة من عنصر الرجع وهذا ما جعل مصطلح الوسائل التعليمية يتطور ويتغير وأطلق عليها التربويون تسميات جديدة ذكرها أحمد منصور كمايلي:

- الوسائل التكنولوجية المبرمجة للتعليم-Technologically Aided Programmed Learning
- الوسائل التكنولوجية التعليمية Instructional Technology
- الوسائط المتعددة أو ما يطلق عليها Multi Media System ٧.

ويعتقد البعض أن أهمية تكنولوجيا التعليم نابعة من أهمية الوسائل التعليمية وهذا غير صحيح إذ هناك فرق بين مصطلح تكنولوجيا التعليم ومصطلح الوسائل التعليمية٨، بحيث تعد هذه الأخيرة جزءا من تكنولوجيا التعليم، وبالتالي فإن أهمية تكنولوجيا التعليم أشمل وأعم من أهمية الوسائل التعليمية، ولقد أُطلقت العديد من التسميات لمسمى الوسيلة التعليمية نتيجة للتقدم العلمي والتطورات التي ميزت ورافقت المواد التعليمية وتخصصاتها الفرعية وطرقها وأساليبها ومناهجها التعليمية، وحتى بالهدف العام للعملية التعليمية، لتصبح الوسائل التعليمية في نهاية المطاف علما قائما بذاته له مدلوله وتفريعاته وأهدافه وهو ما سُمي بتكنولوجيا التعليم٩، وعن المحطات التاريخية التي مر بها مصطلح الوسائل التعليمية وتسمياته المختلفة فيمكننا ايجازها فيما يلي١٠:

١- الجيل الأول: ويشتمل جيل الوسائل التعليمية في هذه المرحلة على التعليم القائم على الحواس، والذي يعتمد على الخرائط والرسوم البيانية والمصورات والمعارض والمواد المكتوبة والتمثيل والسبورة وغيرها، وما يميز هذا الجيل هو أنه لا يتطلب الآلات الميكانيكية أو الكهربائية.

٢- الجيل الثاني: ويضم هذا الجيل الكتب المطبوعة، وقد برز هذا الجيل مع ظهور آلة الطباعة.

٣- الجيل الثالث: برز هذا الجيل مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذي تزامن مع استخدام الآلة في عملية الاتصال من أجل تدعيم التعليم المرئي والتعليم المسموع ليتم المزج بينهما، حيث ظهرت الصور الفوتوغرافية والشرائح والأفلام والتسجيلات الصوتية والمذياع والأفلام الناطقة والتلفزة.

٤- الجيل الرابع: بدأ هذا الجيل حديثا وهو يعتمد على الاتصال بين الانسان والآلة ومن الوسائل التعليمية النموذجية في هذا الجيل نذكر التعليم المبرمج والتعليم المعزز بالحاسوب.

وهكذا فالوسائل التعليمية كمواد تعليمية وأسلوب تعليمي، قديمة جدا رافقت حياة الانسان منذ البداية إلا أنها كمفهوم علمي مرت بتسميات عديدة١١، وعليه فمسميات الوسيلة التعليمية مر عبر الحقب الزمنية بعدة مسميات منها: وسائل الايضاح والتي كان المعلم يستخدمها لتوضيح المادة التعليمية للمتعلم، ثم ظهر مصطلح الوسائل المعينة-Teaching Aids وهي التي يستعين بها المعلم لنقل الخبرات والمهارات للمتعلم وتعين المتعلم في الوقت ذاته على الاستيعاب والفهم، ليظهر بعد ذلك مصطلح الوسائل البصرية Visual Aids ثم الوسائل السمعية Audio Aids فالوسائل السمعية البصرية Audio visual Aids وهي تلك الوسائل التي تجمع بين حاستي السمع والبصر، ليستقر بعدها المسمى على مصطلح الوسائل التعليمية، باعتبارها كأدوات يعتمد عليها المعلم لتسهيل عملية التعلم للمتعلمين، ومع الانفجار المعرفي الذي اجتاح العالم بعد الثورة الصناعية، بدأت الآلة تتسلل إلى جميع مناحي الحياة وغزت كل نشاطات الإنسان الاقتصادية والاجتماعية وحتى التعليمية، فاقتحمت حقل التربية والتعليم تحت مسمى "تكنولوجيا التعليم- Educational Technology"، وقد يخطئ البعض حين يربط بين مصطلح تكنولوجيا التعليم والآلة فقط١٢، حيث يعرف "تشارلز هوبان" تكنولوجيا التعليم على أنها: » تنظيم متكامل يضم الانسان والآلة والأفكار والآراء وأساليب العمل والإدارة بحيث تعمل داخل إطار واحد «١٣.

وعليه فتكنولوجيا التعليم جاءت كمنظومة شاملة لتؤسس للوسائل التعليمية الحديثة وطرائق التدريس الحديثة المعززة بالأجهزة والوسائل الحديثة، متحدة مع الإنسان من أجل تقديم تعليم نوعي وفريد وبجودة عالية لمتعلم العصر الجديد في مدرسة الراهن.

- تطوير الوسائل التعليمية... ترقية لأداء المعلم الديداكتيكي:

تكنولوجيا التّعليم في حقيقتها تعني ضرورة اتباع المعلّم للأساليب والتّقنيات الحديثة في التّخطيط للتّدريس، لأن مهمته لم تعد تقتصر على التّلقين والشّرح وفق أساليب تدريسيّة تقليديّة كاستخدام السبورة أو الكتاب أو الطباشير بغرض التلقين والحفظ والاستظهار، حيث أصبحت مهامه الأساسية تتمثل في رسم خطة درسيّة تقوم على الاستفادة من طرائق التدريس الحديثة والوسائل التعليمية التكنولوجية الحديثة ، لاسيما وأن عصر المعلومات هذا غيّر كثيرا في مهارات المتعلمين وقدراتهم وكفاءاتهم، حيث أصبح متعلمو اليوم قادرين على حل المشكلات وتطوير مهارات التفكير، وهذه تعتبر من المهارات الضرورية واللازمة في عصر المعلومات . وعليه ارتأينا أن نقف في العنصر الموالي على أدوار المعلم الجديدة التي استُحدثت في عصر تكنولوجيا المعلومات والتّغيُّرات التي طرأت عليهما نتيجة دخوله إلى جانب المتعلم في هذا العصر الجديد بمفاهيمه وأساليبه وطرائق تعامله مع المعرفة.

إنّ تطوير الوسائل التعليمية والعملية التعليمية ككل يقتضي أيضا تطوير كفاءات المعلم من أجل القيام بمهمة التعليم لأنه هو العنصر الأساسي في العملية التعليمية خاصة وأن ما يمتاز به من كفايات ومؤهلات واستعدادات وقدرات ورغبة أكيدة في التعليم، يستطيع أن يساعد المتعلم على تحقيق الأهداف التعليمية التعلمية بنجاح ويسر١٤، إذ يشكّل المعلّم الحجر الأساس في العمليّة التّعليميّة والتّعلّميّة، وأحد أقطابها الحسّاسة، لذلك فإنّ أي تحديث أو تطوير أو تغيير في الفعل التّعلّميّ والتّعليميّ يقتضي تركيز بؤر الاهتمام على

المعلّم بالدّرجة الأولى، باعتباره طرفا هاما وقطبا فاعلا في تشكيلة المنهاج التعليمي، إذ أنّ معايير تحقيق الجودة في التّعليم أضحت مرهونة بنوعية تكوينه وإعداده ومضامين المقرّرات والمناهج المقدّمة إليه خلال مراحل تكوينه، إذ « يحتاج المعلم إلى معارف ومهارات حاسوبية، لذا يجب أن يصبح الحاسوب التربوي جزءا أساسيا من برامج تأهيل المعلمين، حيث من الواجب أن يدخل المعلم في حقل التعليم بمهارات جديدة ضرورية وملحة تمكنه من القيام بواجبه التعليمي بالشكل الصحيح، وهذا يتطلب منه معارف أكثر من معرفته بكيفية تغير السلوك بل تمكنه من توجيه وإرشاد الطلاب لا ناقل للمعلومات، على المعلم أن يساعد الطلبة على كيفية التعلم وعلى كيفية استخدام الوسائل الإلكترونية بنجاح ويجب أن يصبح المعلم مرشدا وباحثا في الموارد المتاحة»١٥.

- معلّم الألفيّة الثّالثة : راهن جديد وتحديات تفرض وجودها :

وأمام هذه المستجدات نحتاج إلى معلّم الألفيّة الثّالثة، الذي ينبغي أن يغيّر دوره جذريًا من موظّف إلى مدرّس يقوم بوظيفة رجال أعمال ومديري مشاريع ومحلّلين للمشاكل ووسطاء استراتيجيين بين المدرسة، والمجتمع، ومحفّزين لأبنائهم، ويكتشفون فيهم مواطن العبقرية والنّبوغ والموهبة، فنحن نريد معلمًا له خبرات تربويّة وثقافة متنوعة وقاعدة معرفيّة عريضة وإمكانات فكريّة عالية وتصورًا قائمًا على الإحساس بالمتغيّرات قادرا على مشاركة أبنائه في استكمال استعدادهم للتّعامل مع مستقبل مختلف تماما عن حاضر وماض عايشناه، وهذا يتطلّب تكوينًا وإعدادًا نوعيًا للمعلّم، وانفتاحًا على كل التّجارب العالميّة وتنوعًا في الخبرات والقدرات التي يتسلّحون بها في إعدادهم في معاهد وكلّيات التّربيّة والتّعليم.

لذا فإنّ الفعل التّعلّميّ التّعليميّ في عصر التّكنولوجيا يؤكّد على مفهوم المشاركة والتّحرّر، والهدف هو التّطلع دائما إلى الأفضل والأنفع والأصدق والأنسب، وكذا تحقيق كل مظاهر الإبداع لتجويد منظومة التّربيّة والتّعليم، فصناعة البشر في مجتمع المعلومات هي أولى الاستثمارات بالرّعاية والاهتمام، وعلينا بالتّالي أن نحدّد أولوياتنا بأقصى درجات الموضوعيّة والمنهجيّة، واستشراف المستقبل١٦. وهذا ما فرض على المعلّم أن يعيد النّظر في تكوينه الذّاتيّ ومهامه وأدائه في عصر التّغيّرات المتسارعة والموجة المعلوماتيّة العارمة. وأمام هذه المستجدات التّكنولوجيّة وظهور الوسائل التّعليميّة الحديثة، وطرائق التّعليم المبتكرة على غرار التّعلّم عن بعد، والتّعليم المبرمج والتّلفزيون التّعليميّ والتّعليم الإلكترونيّ... ، ذهب بعض الدّارسين إلى أنّ هذه المستجدات ستقوم بإلغاء دور المعلّم، خاصة وأنّ الكثير من الدّراسات وجّهت اللّوم الشّديد للمعلّم باعتباره أحد الأسباب الرّئيسة للأزمة التّربويّة التي تتخبط فيها أغلب مجتمعات العالم وكذا أحد المُعوّقات الأساسيّة أمام حركة التّغيير والتّجديد التّربويّ التي يفرضها عصر التّكنولوجيا والمعلومات١٧. »ومن المفاهيم الشائعة لدى الكثير من الناس... حلول الآلة محل الانسان في كثير من المواقف إلا أن هذا الموقف يختلف اختلافا كبيرا بالنسبة للتربية حيث يبقى الانسان سيد الموقف وعليه أن يسخر جميع هذه الأشياء في الوصول إلى نتائج أفضل في تحقيق أهدافه في مجالات التربية والتعليم«١٨.

وعليه يمكننا القول أنّ "جهاز الإعلام الآلي "الحاسوب" ما هو إلا وسيلة حديثة مستثمرة في التعليمية، وليس هو معلم اللغة حقيقة، وهذا الأخير لا يمكن استبعاده ولا تجاهله. ومعلم اللغة هو أصل التعليمية وهو مرسل المعلومة للمتلقي سواء كان متعلما أو جهازا. ومسألة المقاربة والمقارنة تبقى غير مطروحة في التعليمية العلمية الطبيعية، ذلك أن معلم اللغة هو مالك المعلومة، وهو العارف بطبيعة المتلقي ومستواه وما يلزمه من طريقة ومعلومة، وهو المؤهل للابتكار والاتساع باستمرار، في حين تنعدم هذه الأخيرة في الجهاز الوسيلة١٩. وعليه فإن فكرة دور المعلم قد انتهى بإدخال جهاز الحاسوب في التعليم، وأنه لا وجود للإنسان في ظل الإمكانات الكبيرة التي يمتلكها هذا الجهاز، هي فكرة ضيقة ومحدودة، فالحاسوب مهما تعددت فوائده وكثرت مزاياه فإنه يبقى مجرد آلة من صنع الإنسان، استحدثها بهدف التطوير والتحديث لا الاحلال والتبديل، فلا غنى عن المعلم بل إن دوره يتعاظم ويتطور بدخول الحاسوب التعليمي إلى الفصل الدراسي، وينبغي للمعلم أن يدرك أن الأساليب الفردية في التعلم لا تلغي التفاعل الإنساني بين المعلم والمتعلم، وهذا الأخير مازال بحاجة إلى معلم حقيقي ليحفزه ويلهمه ويوجهه ويرشده ويطمئنه٢٠. وعليه فللمعلم في عصر الحاسوب دور يرتبط

بأربعة مجالات واسعة وهي٢١:

١- تصميم التعليم.

٢-توظيف التكنولوجيا.

٣- تشجيع تفاعل الطلاب.

٤- تطوير التعلم الذاتي للطلاب.

كما أن الحاسوب التعليمي يزود المعلم بطرائق واستراتيجيات تعليمية جديدة تعمل على تطوير وتجديد دوره كمدرس، ويعمل –الحاسوب- على تعديل مبدأ النظام التعليمي التقليدي القائم على جعل المعلم كمصدر رئيسي وربما الأوحد للمعلومات، وتغييره من ناقل للمعلومات إلى موجه للتعليم٢٢.

كما أنّ الإنسان "المعلّم" يشكّل طرفا هاما وصعبا في الوقت نفسه، لأنّ عدم استيعابه أو عدم أخذه بهذه الوسائل التعليمية التّكنولوجيّة الحديثة في ميدان التّربيّة والتّعليم، سيؤثر سلبا على مخرجات القطاع ككل، وبالتّالي تكوين فئة من الأفراد "متعلّمين" بعيدة عن الثّقافة التّقنية الرّاهنة، لذا فالمعلّم يشكّل طرفا حاسما في تطبيق تكنولوجيا التّعليم، وأي إهمال منه يتسبّب في إبعاد الحقل أو الميدان عن التّطورات الرّاهنة والحاصلة في العالم، وهذا ما يحدث في عالمنا العربيّ بسبب غياب الثّقافة المعلوماتيّة لدى فئة المعلّمين من جهة وابتعاد المناهج التّعليميّة عن الرّوح التّكنولوجيّة وفي هذا الصّدد يقول "فولطون – K.Fulton": »لقد أهملنا ما يشكّل الحلقة الأساس لمعادلة تكنولوجيا التّعليم : إنّهم المدرّسون.« ٢٣، وعليه فإنّ إعداد المعلّم وتكوينه لمدرسة المستقبل يشكّل تحديا وأولوية كبرى على مستوى كل أقطار العالم، لاسيما وأنّ هذه المستجدات التّقنية الحديثة باتت آثارها واضحة ومنتشرة في كل الميادين والحقول، ومن ثمّ أصبح للتّعليم دورا فاعلا في عملية التّغيير باعتباره الطّريق المختصر لصناعة متعلّم الغد الذي يُفترض إتقانه لمهارات التّواصل، والتّفكير، والتّحليل والحوار، هذه المهارات التي تؤهله للاندماج في عصر الرّقمنة والتّكنولوجيا ومجاراته.

كما أنّ تكنولوجيا التّعليم هي عمليّة فكريّة تركّز على اقتراح وابتكار أساليب لمساعدة المتعلّمين على التّعلّم قصد تقديم حلول عمليّة ابتكاريّة للمشاكل التي يواجهها الفعل التّعلّميّ التّعليميّ. وتكنولوجيا التّعليم ليست اصطلاحا جديدا لمفهوم الوسائل التّعليميّة، بل هي عمليّة فكريّة عقليّة تهتم بالتّطبيق المنهجيّ لنظريات التّعلّم والتّعليم والاتصال وكذا نظريات العلوم المختلفة ونتائج الدّراسات والبحوث التي ترتبط ارتباطا وظيفيا بعمليات التّعلّم والتّعليم قصد الإفادة منها لتحقيق حلول إبداعيّة للمشكلات التّربوية.٢٤ وعليه فتكنولوجيا التعليم تعني في المقام الأوّل:» طريقة في التّفكير لوضع منظومة تعليميّة، أي أنّها تأخذ بأسلوب النُظم System Approach، الذي يعني إتباع منهج وأسلوب وطريقة في العمل تسير في خطوات منتظمة وتستخدم كل الامكانات التي تقدّمها التّكنولوجيا وفق نظريات التّعليم والتّعلّم... ٢٥«

إنّ إعادة النّظر في سياسة ومنظومة تأهيل المعلّمين العرب وتكوينهم أضحت من أولويات الراهن التربويّ، قصد التّخلص من الأساليب القائمة على التّلقين والعمل بأساليب التّعلّم والاكتشاف والإبداع من خلال التّجربة والخطأ والقدرة على حلّ المشكلات وإدارة المشاريع البحثيّة، إذ لا يمكن تحقيق هذه النّقلة النّوعيّة إلاّ عن طريق تعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات في معاهد تكوين المعلّمين وكليات التّربيّة على مختلف المستويات، وكل هذا يتطلب موقفا جادا لإعادة تكوينهم وتأهيلهم بمساهمة كل الأطراف المعنية الرّسمية وغير الرّسمية ضمن إطار خطة متكاملة للتّجديد التّربويّ على المدى البعيد٢٦. ويقول "أحمد الخطيب" في هذا السّياق: » يمثل المعلّم مركزا أساسيا في النّظام التّعليميّ، ويعتبر عنصرا فاعلا ومؤثّرا في تحقيق أهدافه، وحجر الزّاوية في أي إصلاح أو تطوير تربويّ، فالأبنية المدرسيّة والتّجهيزات والمرافق والمناهج والكتب المدرسيّة والوسائل التّعليميّة، على أهميتها تبقى محدودة الفائدة إذا لم يتوفّر المعلّم الكفء والمعدّ إعدادا جيّدا علميا وثقافيا ومهنيا...« ٢٧.

ويمكننا القول أيضا بأنّ توظيف التّكنولوجيا في قطاع التّربيّة والتّعليم من شأنه إيجاد حلول لتلك المشاكل والقضايا التي عجزت الطّرائق التّقليديّة عن حلّها، كما أنّها إبداع وابتكار فريد في المجال التّعليميّ التّعلّميّ يقضي على العوائق والتّحديات التي يواجهها القطاع لاسيما وأنّ هذا العصر الجديد الذي نعايشه الآن يفرض علينا نوعية خاصة من البشر وكذا السّرعة في تنمية تفكيرهم لتأهيلهم على حل كل ما يعترضهم، لذلك فكل المسؤولية هاهُنا تقع على عاتق المنظومة التّربوية التّعليميّة بكل أطرافها وأقطابها، حيث أصبحت هذه الأخيرة مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالخروج والانزياح عن تلك النّمطيّة والتّقليديّة التي لا تناسب متعلّم اليوم ولا تسعى إلى إيقاظ مهاراته وقدراته الإبداعيّة .

وتجدر الإشارة إلى أنّه منذ العقد الأخير من القرن الماضي، تزايد الوعي بموقع الصّدارة لقيمة الإنسان هدفا ووسيلة في منظومة التّنمية الشّاملة والتّنمية المستدامة، ومن ثم سلّطت الضّوء عديد الدّراسات والسّياسات واللّقاءات والمؤتمرات على أبعاد التّنمية البشريّة، وكذا تحليل مكوناتها الرّاهنة والمستهدفة. ومن الواضح جدا أنّ بؤر الاهتمام توجهت نحو الإنسان بعد أن ترسّخ الاقتناع بأنّه رأس المال الذي لا ينفد، وأنّه المحور الرّئيس في حركة التّنمية، بعد تجارب وخبرات طويلة تُوجت بالإحباط والفشل جرّاء التّركيز على النّمو الاقتصاديّ والسّياسات الماليّة على الأصعدة الدّوليّة والإقليميّة والوطنيّة٢٨.

وأمام هذه الأدوار الجديدة والتّحديات التي تواجه المعلّم العربيّ خصوصا، في عصر التّكنولوجيا ينبغي عليه أن يتمتع بالذّهنيّة التّكنولوجيّة التي تساير تقدّم العلوم والتّقنيات، وألاّ يكتفي بإتقان استعمال الأدوات والوسائل التّكنولوجيّة فحسب، لاسيما وأنّ التّقنية الحديثة دخلت عتبات الحياة العصريّة واكتسحت كل ميادين العلم والمعرفة، وعليه فإنّ تعميق أثر العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة يحتاج إلى تنمية قدرات المعلّم ومهاراته لكي يحسن انتقاء واستخدام الوسائل التّعليميّة التي تمُدّه بآليات وميكانيزمات تساعده على أداء مهامه من جهة وضمان نجاعة الفعل التّعليميّ من جهة ثانية ٢٩ وهذا بُغية تكوين جيل من الأفراد قادر على مواجهة ما يواجهه المجتمع من مشكلات، أو بالأحرى جيل منتج للمعرفة أكثر منه مستهلكا، مما يؤهله للحياة في عصر التّغيرات السّريعة والتّقدم التّكنولوجي المثير، وما ينتج عنه من مظاهر وجوانب مثيرة للمجتمع الإنسانيّ على غرار بحوث الهندسة الوراثيّة والجينوم البشريّ والالكترونيات الدّقيقة والرّوبوتات...٣٠، ولأن الحاسوب ثمرة من ثمار التكنولوجيا في المجال التربوي والتعليمي فقد استطاع أن يحدث ثورة وصدى هائلين لدى أوساط المعلمين والفاعلين في قطاع التربية والتعليم، كما اعتبره بعضهم كثورة على الطرائق والوسائل التربوية التقليدية ....، كما أصبحت الحضارة الانسانية المعاصرة تتسم بالثورة التكنولوجية العلمية لتُطلق على هذه الفترة من هذا العصر التكنولوجي بعصر الحاسوب، ومن ثمة أصبح الإلمام بأبجديات الحاسوب التعليمي موضوعا مهما لمعلم الراهن، وضرورة ملحة له من أجل استثمار هذه التقنية في مختلف جوانب العملية التعليمية التعلمية ٣١...

كما أنّ منظمة اليونسكو ومنذ تأسيسها أولت اهتماما بالغا بالمعلّم وذلك إيمانا منها بأهمية الأدوار التي يقوم بها هذا الأخير باعتباره الرّكيزة الأساسيّة في تطوير العمليّة التّربويّة ...٣٢، لهذا فإنّ تأهيل وتدريب وتكوين المعلّم العربيّ يشكّل أول خطوة نحو بلوغ النّجاح في ميدان تطبيق التّكنولوجيا في التّعليم عموما وفي تعليم اللغات خصوصا. لاسيما وأنّه » لم يعد نقل المعلومات اللغوية مقصورا على المعلم بوصفه الوسيلة الوحيدة، وإنما تتعدد مع التقنيات التربويات الحديثة أساليب نقل المعلومات. ٣٣«

الأمر ذاته بالنسبة للمنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم، ففي مؤتمر وزراء التّربيّة العرب المنعقد في الجزائر سنة ٢٠٠٢ أكّدت في توصياتها النّهائيّة ودعت الدّول العربيّة إلى توثيق التّجارب العربيّة والعالميّة الرّائدة والمتميزة في توظيف ثقافة المعلومات في المنظومة التّربويّة ووضعها على البوابات التّربويّة بما يعزّز الإفادة منها ويحقّق التّنسيق والتّكامل بين الدّول العربيّة في هذا المجال، مع التّأكيد على أهمية إدخال التّكنولوجيا في برامج إعداد المعلّمين وتدريبهم وكذا التّشجيع على استخدام الحاسوب في تدريس جميع المواد٣٤. كما وجّه المؤتمرون دعوة لكليات التّربيّة ومعاهد إعداد المعلّمين إلى فتح أقسام لإعداد المتخصّصين في تكنولوجيا المعلومات، وتعزيز الأقسام القائمة والتّوسع فيها...، مع التّأكيد على أهمية دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في صلب برامج إعداد المعلّمين وتدريبهم، مع تشجيع استخدام الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تدريس جميع المواد التّعليميّة، وكذا دعوة الدّول العربيّة إلى اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتوفير الحاسب لأكبر عدد ممكن من المعلّمين بشروط ماليّة ميسّرة.

- الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكننا القول بأنّ كل من المعلم والمتعلم يشكلان الأقطاب الحساسة والفاعلة في منظومة الديداكتيك، وأي حراك أو تغيير على مستوى كل الأصعدة، يظهره أثره بصفة أساسية وواضحة على هذين القطبين الحساسين، لذا فالاهتمام بهما يشكل الطريق الأقصر لتحقيق الجودة الشاملة في التربية والتعليم، وفيما يلي نلخص

بعض نتائج هذه الدراسة:

- التنويع في استعمال الوسائل التعليمية " القديمة والحديثة" يرفع من تحصيل المتعلم، لا سيما وأن المزج بينها يجعل المتعلم يُشْرك كل حواسه في الفعل التّعلميّ.
- ثقافة المعلم الجزائري والعربي المعلوماتية تعمل على تسريع وتيرة الجمع بين التكنولوجيا والتعليم، لذا فإنّ تكوين وتدريب معلّمي اللّغة العربيّة على كيفية استخدام الحاسوب والفيديو ومختلف الوسائل التّعليميّة التّكنولوجيّة الحديثة، يشكّل حَلَقة هامة في مجال تعليميّة اللّغة العربيّة بهدف تدعيم التّعليم التّقليديّ بالتّعليم المعزّز بالحاسوب الذي أثبت نجاعته في مجال تعليمية اللّغات.
- إن الطريقة الإلقائية والتلقينية والسردية التي يعتمد عليها معلم اليوم، باتت غير قادرة على مجاراة التحديات الراهنة التي تواجهه في عمله، الأمر الذي جعله غير قادر على التصدي لكفاءات وإمكانات متعلم الراهن، هذا الأخير الذي تغير كثيرا عبر الزمن ولازال يتغير وأصبح ينتظر ويتوقع أشياء كثيرة ومثالية من مدرسته ومعلمه ومنهاجه التعليمي.
- بالرغم من ايجابيات الوسائل التّعليميّة التكنولوجية الحديثة، إلاّ أنّه يجب الاهتمام بالمعلّم قبل الوسيلة لأن المعلّم " العقل البشري"، هو النّاقل للمعرفة، وهو المفكّر، والمغيّر، والموجّه، والمستشار، في العملية التّعليمية التّعليميّة، والتكنولوجيا ووسائلها ما هي إلاّ أدوات ووسائط لنقل هذه المعرفة " المحتوى التعليمي" بطرائق حديثة وتفاعلية وديناميكية.

وبعد عرض هذه النتائج نوصي بالآتي:

- اعتماد شهادة قيادة الحاسوب ومهاراته كشرط ضروري لتوظيف المعلمين والأساتذة بصفة عامة ومعلمي اللغة العربية بصفة خاصة، وذلك عبر كافة أطوار التعليم الجامعي وما قبل الجامعي.
- إطلاع المعلّم العربيّ على البرمجيات التّعليميّة التفاعلية المعتمدة في تعليميّة اللّغات الأجنبية والعربيّة، وهذا يكسبه الثقافة المعلوماتيّة التي يحتاجها لمواجهة متعلّم ومدرسة الراهن والمستقبل.
- تخصيص خلية تقنية خاصة على مستوى وزارة التّربيّة والتّعليم الجزائريّة وكل الوزارات العربيّة تضم فنيين وخبراء في تكنولوجيا التّعليم وأخصائيين في اللّغة العربيّة وصناعة مناهجها ومصممين تقنيين في الإخراج والصّورة... تُسند إليهم مهمة إعداد المناهج التّعليميّة الالكترونيّة على المدى المتوسط والمدى البعيد، مع ضرورة إشراك المعلّم في مشاريع تطبيق التّكنولوجيا في التّعليم عموما وتعليميّة اللّغات خصوصا.
- إعادة النّظر في مضامين برامج تكوين وتدريب طلبة الجامعات ومعاهد تكوين الأساتذة والمعلّمين المقبلين على تعليم اللّغة العربيّة، وضرورة تدعيمها ببعض البرامج التعليمية الحاسوبيّة وبمقاييس ووحدات ومواد علميّة، تتماشى وروح العصر وكذا متعلّم ومدرسة المستقبل، وذلك من خلال إعدادهم معرفيا وتقنيا وتأهيلهم لاستخدام الوسائل التّعليميّة التّكنولوجية الحديثة.

الهوامش

١ ياسين سرايعية، " تكنولوجيا التّعليم وإشكاليّة ترقية المكتسب اللّسانيّ في بلدان المغرب العربيّ..." مجلة علوم إنسانيّة الالكترونيّة، " www.ulum.nl".

٢ فيليب بيرينو، عشر كفاءات جديدة لممارسة التّدريس، ترجمة: المركز الوطنيّ للوثائق التّربويّة، الجزائر، ٢٠١٠، ص١٧٥.

٣ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٤ يوسف أحمد عيادات، الحاسوب التعليمي وتطبيقاته التربوية، ط: ٠١، المرجع السابق، ص٢٩٨.

٥ عبد الحافظ سلامة، الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان-الأردن، ٢٠٠٧، ص١٠٨.

٦ مصطفى نمر دعمس، تكنولوجيا التعلم وحوسبة التعليم، المرجع السابق، ص٤٣.

٧ مصطفى نمر دعمس، المرجع السابق، ص٤٤.

٨ من أكثر المفاهيم تداخلا مع مفهوم تقنيات التعليم، مفهوم الوسائل التعليمية، ففي أحيان كثيرة نستخدم مفهوم تقنيات التعليم كمفهوم جديد للوسائل التعليمية، ولا نضع حدودا فاصلة بينهما بل نستخدمهما كمترادفين...،

ومع التقدم العلمي والتقني الهائل الذي تشهده العقود الأخيرة في مجال الاتصالات وظهور أجهزة الحاسب الآلي، حدث تداخل بين مفهوم الوسائل التعليمية، ومفهوم تقنيات التعليم، واستخدم كثيرون مفهوم تقنيات التعليم مسمّا جديدا لمفهوم الوسائل التعليمية، وذلك نتيجة لعدم الفهم الواضح لمفهوم وخصائص تقنيات التعليم، وبسبب النظرة القاصرة إلى تقنيات التعليم على أنها الأجهزة الإلكترونية، والمستحدثات التقنية التي تستخدم في ميدان التعليم.

ولتوضيح الحدود الفاصلة بين المفهومين، وكذا التداخلات بينهما، نستعرض ما أورده كل من سالم وسرايا "٢٠٠٣" حول الموضوع ذاته.

- تقنيات التعليم ليست اسما جديدا لمفهوم الوسائل التعليمية، فالمصطلحان غير مترادفين ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر.
- جذور كل من المفهومين مختلفة، فجذور الوسائل التعليمية ترجع إلى القرن الخامس عشر في حين جذور مفهوم تقنيات التعليم ترجع إلى بدايات القرن العشرين.
- تقنيات التعليم عملية فكرية عقلية تهتم بالتطبيق المنهجي لنظريات التعلم والتعليم والاتصال ونتائج البحوث المرتبطة بتطوير العملية التعليمية، في حين أن الوسائل باعتبارها أجهزة ومواد وأدوات فهي من الأشياء المادية، وتأتي فاعليتها في إطار علاقتها بباقي مكونات مجال تقنيات التعليم.
- تقنيات التعليم ميدان أكثر اتساعا وشمولا من ميدان الوسائل التعليمية، ويتسع مجال تقنيات التعليم ليشمل الوسائل التعليمية. فالوسائل التعليمية منظومة فرعية تنتمي إلى منظومة تقنيات التعليم "النظام الأم"، ولا يشير ذلك إلى أن المفهومين غير مترابطين بل هما مترابطان في إطار منظومي كامل.

ينظر: - مصطفى نمر دعمس، تكنولوجيا التعلم وحوسبة التعليم، المرجع السّابق، ٤٧-٤٩.

-عماد بن جمعان بن عبد الله الزهراني، "تصميم وتطبيق برمجية إلكترونية تفاعلية لمقرر تقنيات التعليم لقياس أثرها في التحصيل الدراسي لطلاب كلية المعلمين في الباحة"، المرجع السابق، ص٤٩-٥١.

٩ مصطفى نمر دعمس، المرجع السابق، ص٣٥-٣٦.

١٠ عبد الحافظ سلامة، المرجع السابق، ص١١٢.

١١ مصطفى نمر دعمس، المرجع السابق، ص٣٩.

١٢ عبد الحافظ سلامة، المرجع السابق، ص١١٢-١١٣.

١٣ المرجع نفسه، ص١٠٨.

١٤ أفنان نظير دروزة، " تقانة التعليم ماهيتها ومجالاتها ودورها في تطبيق العملية التعليمية التعلمية"، مجلة التعريب، ع:٠٣، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، حزيران ١٩٩٢، ص٨٣-٨٤.

١٥ يوسف أحمد عيادات، الحاسوب التعليمي وتطبيقاته التربوية، الطبعة:٠١، المرجع السّابق، ص٣٢٥.
١٦ إبراهيم عبد الوكيل الفار، تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، المرجع السابق، ص١٨١-١٨٢.
١٧ إبراهيم عبد الوكيل الفار، تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، المرجع السابق، ص١٨٢.
١٨ مصطفى نمر دعمس، المرجع السابق، ص٤٢.
١٩ عمّار ساسي، "تحديات الألفية الثالثة في وجه معلم اللغة-تعليم العربية نموذجا-"، المرجع السابق، ص٥٢.
٢٠ مختار عبد الخالق عبد اللاه، المرجع السّابق، ص٦٤.
٢١ يوسف أحمد عيادات، الحاسوب التعليمي وتطبيقاته التربوية، الطبعة:٠١، المرجع السّابق، ص٣٠٥.
٢٢ مختار عبد الخالق عبد اللاه، المرجع السّابق، ص٦٥.
٢٣ امحمد عليلوش، التّربيّة والتّعليم من أجل التّنمية، تقديم: أحمد أوزي، ط: ١، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، ٢٠٠٧، ص٠٥.
٢٤ مصطفى عبد السّميع محمد وآخرون، تكنولوجيا التّعليم: مفاهيم وتطبيقات، المرجع السابق، ص٢٣٩.
٢٥ محمد محمود الحيلة، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، الأردن، ٢٠٠٤، ص٦٨.
٢٦ إبراهيم عبد الوكيل الفار، تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، المرجع السابق، ص١٨٣-١٨٤.
٢٧ أحمد الخطيب، إعداد المعلّم العربيّ: نماذج واستراتيجيات، الطّبعة:٠١، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالميّ، الأردن، ٢٠٠٨، ص١٨٣.
٢٨ حامد عمار، دراسات في التّربيّة والثّقافة "٧"، في التّنمية البشريّة وتعليم المستقبل رؤية معياريّة، ط:٠١، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٩.
٢٩ ياسين سرايعية، " تكنولوجيا التّعليم وإشكاليّة ترقية المكتسب اللّسانيّ في بلدان المغرب العربيّ..." المرجع السّابق، "www.ulum.nl".
٣٠ صلاح الدّين عرفة محمود، آفاق التّعليم الجيّد في مجتمع المعرفة: رؤية لتنمية المجتمع العربيّ وتقدّمه، ط١، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع والطّباعة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٤١.
٣١ أشجان حامد الشديفات، المرجع السابق، ص٩٤.
٣٢ أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص٥١.
٣٣ رشدي أحمد طعيمة ومحمد السيد مناع، تعليم العربية والدين بين العلم والفن، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٢٨.
٣٤ هاشمي عمر، "دور المدرّس في ظل تكنولوجيا المعلومات والاتصال"، مجلة المربيّ، العدد: ١٢، المركز الوطنيّ للوثائق التّربويّة، الجزائر، نوفمبر ٢٠٠٩، ص١٣.